المصطلح النقدي في كتاب الموشح للمرزباني

The Critical Terminology in the Book of Al-Muwashah by Al-Marzbani

شايب الدور محمد*

جامعة حسيبة بن بوعلي – الشلف (الجزائر)، chaibeddourmhamed@gmail.com

تاريخ الوصول 2022/02/23 **تاريخ القبول** 2022/03/20 **تاريخ النشر**2022/03/31

– الملخص:

اشتمل كتاب الموشح للمرزباني على غير يسير من المصطلحات النقدية مست جميع جوانب العملية الإبداعية المتمثلة في أهم القضايا النقدية .

ولأن الشعر لفظ ومعنى ووزن وقافية ارتأيت أن أقف على المصطلحات النقدية الخاصة بكل الحقول .

ومن القضايا التي تناولها المرزباني قضية الموازنة أو المفاضلة وقضية اللفظ والمعنى ضف إلى ذلك ما يسمى بالأوزان والقوافي .

الكلمات المفتاحية: الموشح – النقد – اللفظ والمعنى – معجم القافية .

Abstract:

The book Al-Muwashah by Al-Marzbani included quite a few monetary terms that touched all aspects of the creative process represented in the most important monetary issues.
And because poetry is an expression, meaning, meter, and rhyme, I decided to find critical terms specific to all fields.
Among the issues that Al Marzbani dealt with is the issue of balance or comparison and the issue of pronunciation and meaning, in addition to the so-called weights and rhymes.
key words: Muwashah- criticism-- pronunciation and meaning - Rhyming Dictionary**.**

مصطلحات المفاضلة أو الموازنة

1–أشعر: مصطلح أطلقه العرب قبل الإسلام على المتميز من الشعر والمتميز من الشعراء، وغالبا ما تكون المفاضلة بين شاعرين أو مجموعة من الشعراء أوبين الشعراء جميعهم، أوبين بيت وبيت في غرض معين ولهذا قالوا:"أشعر الناس"، "أشعر العرب"، أشعر الجن والإنس"، "أشعر القبيلة"،"أشعر من فلان "كما قالوا "أمدح" "أهجى" أو أجمل بيت.

إن هذه المصطلحات هي بمثابة حكم غير قابل للطعن وإن لم تعلل أحيانا لأنها صدرت عن خبير بأنساب العرب وأيامها، عالم بفنون الشعر وأغراضه ذواق، ورغم ذلك "عمد بعض النقاد إلى سوق تعليل

* المؤلف المرسل

لهذا الحكم إذ لا يترك هكذا على إطلاقه، فشاعر ما قد أصبح أشعر الناس أو العرب لأنه قال ما لم تقله الشعراء أو جاء بالبديع المستطرف الذي فاق به نظراءه، ومعروف أن التعليل يقترب بالحكم من الموضوعية ويمنحه أبعادا من القبول والمصداقية".[1]

2-الفحولة :مصطلح نقدي أطلقه العرب ويعود "إلى طريقة الخليل بن أحمد في انتخاب الألفاظ الدالة على الشعر من طبيعة الحياة البدوية، فالفحل جملا كان أو فرسا، يتميز بما يناقض صفة " اللين " التي يكرهها الأصمعي في الشاعر وبالفحولة يتفوق على ما عداه[2] وبهذا المعنى نجد أن المعنى اللغوي للفحولة يدور حول القوة والغلبة التي لابد من اجتماعهما في الفحل الذي له" مزية على غيره كمزية الفحل على الحقاق "[3]، كما يأخذ هذا المصطلح معنى جنسيا يدل على ذكورة الرجل، ف "امرأة امرئ القيس غلبت علقمة على زوجها فطلقها وسمى بذلك علقمة الفحل".[4]

والمتأمل لما سبق يجد أن الفحولة عند الشعراء لا ترتبط بمقياس محدد إنما هي مزيج من الموهبة المبدعة والاستعداد الفطري، إنها أمشاج من الطبع والذكاء والروية وتفاعل بين الخبرة والموهبة الفطرية فالذي يأتيه المروي من كل مكان ثم يتجرعه ولا يكاد يسبغه بليد عاجز[5].

والمقارنة بين المنحى اللغوي والاصطلاحي يفضي إلى أن الفحل من الشعراء يعنى المقتدر منهم المتمكن، المواصل للعطاء، الخصب الشاعرية المنفتح على الآخرين، القادر على التصرف في أغراض الشعر ومذاهبه .[6]

وإذا أمعنا النظر فيما جاء عن الفحولة في موشح المرزباني نستطيع أن نتلمس مقاييس قد وضعها النقاد ترقى بالشاعر إلى الفحولة أو تنزل به عن هذه المكانة، ولذا قسم الأصمعي الشعراء إلى فئتين: فحول وغير فحول ، قال أبو حاتم، "سألت لأصمعي عن عمرو بن كلثوم أفحل هو؟ فقال ليس بفحل، قلت فأبو زبير؟* قال: ليس بفحل ،قلت: فعروة بن الورد ؟قال شاعر كريم وليس بفحل. قلت: فالحويدرة قال: لو قال خمس قصائد مثل قصيدته – يعني العينية-كان فحلا، قال: فحميد بن ثور؟ قال: ليس بفحل، قلت: فابن مقبل؟ قال: ليس بفحل ...."[7]، ويطول الخبر الذي أورده المرزباني في الموشح، وتطول معه قائمة الشعراء لتشمل أربعة وعشرين شاعرا لم ينل أي واحد منهم صفة الفحولة في رأى الأصمعي لأن الفحولة عنده ترتبط بجملة من المقاييس أبرزها :

1-الكم الشعري : والكم الشعري ضروري ليرتقي الشاعر إلى مرتبة الفحول قال الأصمعي في أوس بن مغراء الهجيمي" لوكان قال عشرين قصيدة لحق بالفحول،ولكنه قطع به".[8]

لقد اشترط الأصمعي عشرين قصيدة ليكون الشعر غالبا على الشاعر وفي هذا الخبر لا يشترط الكيف.

2-الكم الشعري والكيف: في خبر آخر يشترط الأصمعي الكم والكيف في الشعر حتى يستطيع الشاعر الظفر بصفة الفحولة والتميز، ففي نفس الرواية قال عن معفر بن حمار البارقي" لو أتم خمسا أوستا لكان فحلا"، وقال عن سلامة بن جندل :"لوكان زاد شيئا لكان فحلا".

لم يشترط الأصمعي في هذا الخبر كثرة القصائد، إنما اشترط عددا قليلا مقارنة بشرط العشرين قصيدة التي اشترطها في أوس بن مغراء الهجيمي، لأنه بنى العدد هنا على أساس طبيعة شعر هؤلاء، أي أنه كلما جاد شعر الشاعر تقلص عدد القصائد المؤهلة للسبق لمرتبة الفحولة، وهذا ما نجد له تأكيدا في قوله عن الحويدرة "لوكان قال خمس قصائد مثل قصيدته -يعني العينية -كان فحلا"، وهناك أمثلة كثيرة اشتمل عليها الموشح تؤكد شرط الكثرة والجودة كمقياس أساسي في الاحزار على صفة الفحولة عند الشعراء .

3-قدرة الشاعر على تناول أغراض الشعر المختلفة :

يعتبر تنوع الأعراض الشعرية من مدح وهجاء ووصف للديار والرحل خاصة، من المقاييس التي ترقى بالشاعر إلى الفحولة ونلمس هذا في قول الأصمعي لحسان بن ثابت "طريقة الشعر هو طريق الفحول، مثل امرئ القيس وزهير والنابغة من صفة الديار والرحل والهجاء والمدح والتشبيب بالنساء وصفة الخمر والخيل و الحروب والافتخار"، ولنفس السبب لم يرق ذو الرمة إلى مرتبة الفحول، سأل ذو الرمة الفرزدق لماذا لا أعد من الفحول؟ فيجيبه :"يمنعك من ذلك صفة الصحاري وأبعار الظباء"، وفي رواية ثانية :«لتجافيك عن المدح والهجاء، واقتصارك على الرسوم والديار » وفي رواية ثالثة:" نعتك الأعطان والدمن وأبوال الإبل".

4-عدم مخالفة الشاعر لطريقة الفحول :إن عدم مخالفة الشاعر لفحول الشعراء وتناول أغراض الشعر وفنونه واحد من المقاييس التي وضعها المرزباني ،ففي الموشح عاب كثير عمر بن أبي ربيعة، والأحوص ونصيب حين قال :"... يا عمر -وقال بعضهم يا أخا قريش- والله والله لقد قلت فأحسنت في كثير من شعرك، ولكنك تخطيء الطريق، تشبب بها ثم تدعها وتشبب بنفسك ... أهكذا يقال للمرأة ؟ وأنت يا أحوص أخبرني عن قولك [الوافر]"

فان تصلي أصلك وإن تبيني بصرمك قبل وصلك لا أبالي

وإني للمودة ذوحفاظ أواصل من يهشو إلى وصالي

وأقطع حبل كل ذي ملق كذوب سريع في الخطوب إلى انتقال

ويلك أهكذا يقول الفحول ؟ أما والله لوكنت فحلا ما قلت هكذا لها وقال بعضهم :أما والله لوكنت من فحول الشعراء لباليت، هلا قلت كما قال هذا الأسود وضرب بيده على جنب نصيب :[الطويل]

بزينب ألمم قبل أن يرحل الركب وقل إن تملينا فما ملك القلب

وقل إن قرب الدار يطلبه العدى قديما ونادي الدار يطلبه القرب

قال :" فانتفخ نصيب وانكسر الأحوص".1

إن مقياس الفحولة في هذا الخبر هو الاقتدار المشروط بالسير على طريقة الفحول وعدم مخالفتهم وفي هذا المقياس نلمس تطور المفهوم الدلالي للفحولة حيث" تطور من معنى الاقتدار غير المشروط على الشعراء إلى الاقتدار المشروط".[9]

3-المغلق *:*مصطلح أطلقه العرب على الشاعر " الذي يأتي بشيء عيب"[10]

وهذا المصطلح له علاقة بالفحولة، وإن كان المتصف به دون الفحل يقول الجاحظ:" والشعراء عندهم أربع طبقات فأولهم: الفحل الخنديد، والخنديد التام، ودون الفحل الخنديد الشاعر المغلق، ودون ذلك الشاعر فقط والرابع الشعرور".[11]

وفي الموشح للمرزباني نقف على هذا المصطلح في روايته المسندة إلى يحيى بن البحتري" قال: سألت أبي عن دعبل، فقال: يدخل يده في الجراب ولا يخرج شيئا، قال :قلت فأبو تمام ؟ قال : مغلق، إلا أنه ما مات حتى أصفى من الشعر".[12]في هذه المفاضلة أطلق مصطلح " مغلق" على أبي تمام لتميزه عن غيره بتفرده في المعاني.

4-السابق:مصطلح يدل على المفاضلة والموازنة بين الشعراء،وجاء هذا المصطلح في موشح المرزباني للمفاضلة بين جرير والفرزدق والأخطل، فعن محمد بن سلام قال:"قال العلاء بن جرير وكان قد أدرك الناس وسمع، قال: كان يقال للأخطل:إذا لم يجيء سابقا فهو سُكيت والفرزدق لا يجيء سابقا ولا سكيتا، فهو بمنزلة المصلى، وجرير يجيء سابقا وسكيتا ومصليا"،[13]وتوضيحا لهذا أردف ابن سلام قائلا :"وتأويل قوله أن للأخطل خمسا أو سبعا طوالا روائع غرا جيادا، هوبهن سابق وسائر شعره دون أشعارهما، فهو فيما بقي بمنزلة السكيت، والسكيت أخر الخيل في الرهان"[14]، فالأخطل في نظر ابن سلام لم ينل مرتبة السابق بين نظرائه جرير والفرزدق آلافي قصائده الخمس أوالست أو السبع التي أتى فيها بما لم يسبق إليه من المعاني،والشاعر موصوف بالسبق إلى المعاني واستخراج ما لم يتقدمه أحد إلى استخراجه لا إلى الشعر[15].

وإذا كان للأخطل من القصائد ما كان بها سابقا ففي بقية أشعاره هو بمنزلة السكيت لأنها دون أشعار الفرزدق وجرير منزلة، أما الفرزدق فكانت روائعه دون روائع الاخطل فهو مصل وان تفوق عليه في بقية شعره ، يقول ابن سلام "ويقال: إن الفرزدق دونه في هذه الروائع، وفوقه في بقية شعره، فهو مصل، والمصلي الذي يجيء بعد السابق وقبل السكيت".[16]

إن مصطلح "السابق" لم يطلقها النقاد إلا بعد الإلمام بشعر الشعراء وتمييز الجيد من الرديء فيها، والوقوف على "المعاني والابتكارات التي يبتدعها الشاعر على غير مثال سابق"[17]،ثم المفاضلة بينهم حسب ميولاتهم وأذواقهم، وكان لامرئ القيس "الحظوة والسبق"[18] لأنه ابتدع أشياء قبل غيره، فهو أول من استوقف أصحابه، وأول من بكى الديار، وأول من شبه النساء بالظباء وغيرها من المعاني الجديدة المستظرفة.[19]

ولم يخرج المرزباني عن أقرانه من النقاد السابقين في تحديد مفهوم "السابق" ودار حول نفس المعاني التي وقفوا عليها، فجودة البناء والتركيب عندهم جميعاً هي المقياس.

5-المصليّ: المصليّ لغة من نعوت الخيل وهو الذي يأتي بعد السابق ويكون رأسه مواليا صلا المتقدم، والصلوان هما مكتنفا ذنب الفرس، فيبدو وكأنه يأتي ورأسه مع ذلك المكان، يقول ابن الانباري:" المصليّ في كلام العرب: السابق المتقدم، وهو مشبه بالمصليّ من الخيل، وهو السابق الثاني، وإنما قيل للفرس الثاني: مصلٍّ لأنه يتبع الأول فيكون عند صلويه، وصلوا الفرس والبعير ما اكتنف الذنب عن يمين وشمال...ويقال للسابق الأول من الخيل: المجلي، والثاني: المصليّ...".[20]

ومفهوم المصلي في الموشح أكد هذه المعاني، ففيه أن المصلي يأتي بعد السابق ويتفوق على السكيت فهو في مرتبة وسطى وهذا ما يلتمس في الأخبار السابقة.

6-السكيت : هذا المصطلح وصف للشاعر الذي ينال مرتبة متأخرة بين الشعراء فهو أشبه بفرس يجيء في آخر الخيل، وهذا ما أكده المرزباني في حديث ابن سلام عن شعر الأخطل إذا لم يجيء سابقا فهو سكيت وعن جرير أن له سفسافات هوبهن سكيت .

لا شك أن ضعف الشعراء وعدم قدرتهم على الابتكار هو الذي أخرهم إلى هذه المرتبة، وهذه المرتبة لا تحدد إلا من خلال الموازنة .

7-المغلب :هذا المصطلح "وثيق الصلة بالهجاء" [21]يدور معناه حول الشاعر المحكوم له بالغلبة ففي الموشح أن ابن سلام قال:" إذا قالت العرب مغلب، فهو مغلوب، وإذا قالوا غلب فهو غالب".[22]

ونقل المرزباني عن ابن سلام أن النابغة "كان مختلف الشعر مغلبا".[23]

وعدد أسماء الشعراء الذين غلبوه فقال:"غلبت ليلى على الجعدي، وغلب عليه أوس بن مغراء القريعي، ولم يكن له في الشعر ولا قريب وغلب عليه عقال بن خويلد العقيلى، وكان مفحما بكلام لا بشعر".[24]

من هذه الأخبار يتأكد أن مصطلح المغلب ناتج عن سباق الشعراء في حلبة الهجاء وهذا وما يترجمه الخبر الوارد في الموشح عن أبي عمرو بن العلاء قال :" أربعة من الشعراء غلبوا بالكلام، منهم الأعشى هجا ابن عمه جهنام"، فقال :[الطويل]

دعوت خليلي مسحل دعا له جهنام جدعا للحمار المصلم

ومسحل شيطان الأعشى، ويروى :جدعا للهجين المذمم.

فما بوأ الرحمن بيتك بالعلا بأكناف شرقي المصلى المحرم

فقال جهنام: لكن فناؤك به واسع يا أبا بصير، فغلبه ،ونابغة بني جعدة يقول لعقال بن خويلد:[الطويل]

فما يشعر الرمح الأصم كعوبه بثروة رهط الا بلخ المتظلم

فقال عقال : لكن حامله يا أبا ليلى يشعر فيقدعه فغلبه .

والأخطل قال لشقيق بن ثور، قال عمر، ويقال:قال لسويد بن منحوف [الطويل]

وما جذع سوء خرق السوس جوفة لما حملته وائل بمطيق

فقال شفيق : أبا مالك أردت هجائي فمدحتني ولله ما تحملني ذهل أمرها وقد حملتني أنت أمر وائل طرا فغلبه .

وفضالة بن شريك، قال لعبد الله بن الزبير: [الوافر]

ومالني حين أقطع ذات عرق إلى ابن الكاهلية من معاد

فقال ابن الزبير : عيرتني بشر جداتي وهي خير عماته فغلبه" .[25]

ولم يخرج مصطلح المغلب في الموشح عن المفهوم الذي تداوله النقاد قبل المرزباني، كما لم تخرج بقية المصطلحات ذات الصلة بالمفاضلة أو الموازنة عما تداوله كبار النقاد كالأصمعي وابن سلام وغيرهما .

8-المقلدات:هي القصائد المنقحات، فعن الجاحظ "وكانوا يسمون تلك القصائد: الحوليات، والمقلدات، والمنقحات، والمحكمات ليصير قائلها خنديدا وشاعرا مفلقا".[26]

والمرزباني جعل الأبيات المقلدة مقياسا رئيسيا للموازنة بين الشعراء ففي موشحة أن محمد سلام الجمحي قال :"اجتمعنا جماعة فقوم تقلدوا حذق الفرزدق، وقوم تقلدوا حذق جرير، فقال فقلنا لبعضهم

: اذهب فاخرج لنا مقلدات جرير، قال فجاء صاحب الفرزدق فاخرج معايب شعر الفرزدق، وجاء هذا فأخرج المقلدات، فكانت مقلدات جرير أكثر من معايب الفرزدق"[27]، وفي طبقات فحول الشعراء أن المقلد هو "البيت المستغني بنفسه المشهور الذي يضرب به المثل".[28]

وهكذا اتفق المرزباني وابن سلام في نظرتهما للبيت المقلد والقصيدة كما ذهب الجاحظ، ولا يكون البيت والقصيدة كذلك إلا بالجودة وإعادة النظر في الصياغة وحسن الأداء.

مصطلحات السرقات :

1-النقل *:* مصطلح وطيد الصلة بالسرقة ومعناه "تحويل المعنى من غرض إلى غرض"[29]دون تغيير للفظ والمعنى، ويتضح هذا في الخبر الذي أورده المرزباني في الموشح نقلا عن الصولي الذي قال :" فأما الذي أخذه البحتري نقلا، فأخذ اللفظ والمعنى، فقول أبي تمام يصف شعره : [الوافر]

منزهة عن السرق الموری مكرمة عن المعنى المعاد

وقال البحتري يصف بلاغته : [مجزوء الكامل]

لا يعمل المعنى المكر رفيه واللفظ المردد

وقال أبو تمام :[الكامل]

متوطئو عقبيك في طلب العلا والمجد ثمت تستوي الأقدام

فقال البحتري: [الرجز]

حزت العلا سبقا وصلى ثانيا ثم استوت من بعدي الأقدام

وقال أبو تمام :

ولقد أردتم مجده وجهدتم فان أبان قد رسا ومتالع

فنقله البحتري لفظا ومعنى، فقال: [الطويل]

ولن ينقل الحساد مجدك بعدما تمكن رضوى واطمأن متالع"

2-الإحتذاء:ويدور معناه حول أخذ المعنى دون اللفظ، قال الصولي: "ومما احتذى فيه البحتري أبا تمام ،وقدر مثل كلامه، فعمل معناه عليه وأخذ من قوله : [الخفيف]

همة تنطع النجوم وجد ألف للحضيض فهو حضيض

فقال البحتري: [الكامل]

متحير بغد وبعزم قائم في كل نازلة وجد قاعد

وسرقات البحتري من أبي تمام كثيرة" .[30]

3-الأخـذ :ورد مصـطلح الأخـذ في الموشـح بمعنيـين، ففـي المعـنى الأول ورد دون صـفة ،أمـا في المعـنى الثـاني فعـادل السـرقة لمـا فيـه مـن قـبح ،وحـول المعـنى الأول أورد المرزبـاني خـبرا عـن أبي العبـاس أحمـد بـن يحـيى النحوي، قال : "مما يعاب على قيس بن الخطيم قوله : [المنسرح]

كأنه عود بانة قصف

لأن المرأة تشبه بالعود المنثني لا بالمتقصف

قـال الشـيخ أبوعبيـد الله المرزبـاني رحمـه الله تعـالى: فأخـذه ابـن أبي فـنن فقـال في وصـف الخـادم الصـغير : [مجزوء الرمل]

أيها الضبي المليح الـ قد مجدول مهفهف

أنا من ميلك في مشـ يك مرعوب مخوف

لا تميلن فاني خائف أن تتقصف"[31]

أما حول المعنى الثاني فأورد المرزباني خبرا في سياق حديثه عن البحتري مفاده أن أبا تمام قال:

[الكامل]

سينزل الأمل البعيد ببشره بشرى المخيلة بالربيع المعذق

وكذا السحائب قل ما تدعو إلى معروفها الرواد مالم تبرق

فأخذه البحتري أخذ قبيحا، وأتى بمحال واضطراب شديد : فقال [الخفيف]

ضحكات في إثرهن العطايا ويروق السحاب قبل رعوده

فحبيب إنما شبه البشر بالبرق الذي هو دليل على الغيث، ثم أقام العطاء من بعد البشر مقام الغيث، فأما الرعود فليس لذكرها في هذا الموضع معنى، بل الرعود مكروهة لا يؤمن من الآفات فيها بالصواعق والبرد، وما علمنا أحد وصفها فأقامها مقام المطر غيره" .[32]

4-نشـول :مصـطلح وثيـق الصـلة بالسـرقة الشـعرية ومعنـاه لغـة :" أن البئـر إذا حفـرت ثم حفـرت ثانيـة قيـل لهـا : نشـول"[33]، وقـد ورد هـذا المصـطلح في روايـة أوردهـا المرزبـاني عـن أبي اليقظـان أنـه قـال: "مـر رجـل مـن بني ربيـع بـن الحـارث على الفـرزدق وهـو ينشـد قصـيدة لـه، وقـد اجتمـع النـاس عليـه، فمـر في أبيـات كمـا هـي للمخبـل قـد سـرقها، قـال: فقلـت: ولله لـئن ذهبـت قبـل أن أعلمـه إن هـذا لشـديد، ولـئن قلـت لـه قـدام النـاس لـيفعلن بي، فقلـت: أكملـه بشـيء يفهمـه هـو، ولا يـدرى النـاس مـا هـو؟، فقلـت: يـا آبـا فـراس، قصـيدتك هـذه نشـول، فقـال: اذهـب عليـك لعنـة الله وفطـن، ولم يفطـن النـاس"[34]، ومعـنى قصـيدتك هـذه نشـول ههنـا " قصيدتك حييت بعد ما ماتت".[35]

5-**النسخ** :هذا المصطلح يعني حسب خبر أورده المرزباني في الموشح، أخذ اللفظ والمعنى معا، فعن أحمد بن أبي طاهر قال: قال النابغة الذبياني :[الطويل]

وصهباء لا تخفى القذى وهي دونه تصفق في رواقه ثم تقطب

تمرزتها والديك يدعو صاحبه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا

فقال الفرزدق وأخذه نسخا :[الطويل]

وإجابة ريا الشروب كأنها إذا صفقت فيها الزجاجة كوكب

تمرزتها والديك يدعو صباحه إذا ما بنو نعش دنوا فتصوبوا"[36].

6-**الإغـارة** : وهي من أسماء السرقات كما ورد سابقا في بيت لطرفة بن العبد (لا أغير على الأشعار أسرقها) والإغارة " أن يصنع الشاعر بيتا ويخترع معنى مليحا، فيتناوله من هو أعظم منه ذكراً وبعد صوتا، فيروى له دون قائله."[37]

وسند هذا المعنى خبر منسوب لأبي عبيد جاء فيه :"كان قراد بن حنش المري من شعراء غطفان وكان قليل الشعر جيده، وكانت شعراء غطفان تغير على شعره فتأخذه وتدعيه، منهم زهير بن أبي سلمى ادعى هذه الأبيات : [الكامل]

إن الرزية لا رزية مثلها ما تبتغي غطفان لوم أضلت

وهي لقراد بن جحش".[38]

7-**المسخ** :يدور معنى هذا المصطلح فيما نقله المرزباني من أخبار حول الأخذ الحسن والأخذ القبيح، والأخذ الحسن يكون باتباع الشاعر معنى من المعاني عند شاعر آخر فيجيد كما أجاد صاحب المعنى الأول أو يفوقه جودة، وهذا مما يرغب فيه النقاد بل يرون أن الآخذ إذا أجاد أصبح أولى بالمعنى، يقول المرزباني نقلا عن هارون بن عبد الله المهلبي "قال: كنا في حلقة دعبل، فجرى ذكر أبي تمام، فقال دعبل: كان يتبع معاني غيره فيأخذها، فقال له رجل في مجلسه ما من ذاك أعزك الله؟، قال: قلت: [الكامل]

إن امرأ أسدى الي بشافع إليه ويرجو الشكر مني لأحمق

شفيعك فاشكر في الحوائج إنه يصونك عن مكروهها وهو يخلق

فقال له رجل فكيف قال أبو تمام؟ قال: قال: [الكامل]

فلقيت بين يديك حلو عطلة ولقيت بين يدي مر سؤاله

وإذا امرؤ أسدى إلى صنيعه من جاهه فكأنها من ماله

فقال الرجل: أحسن والله! قال: كذبت قبحك الله! قال: والله لئن كان ابتدأ هذا المعنى وتبعته فما أحسنت، ولئن كان أخذه منك لقد أجاده فصار أولى به منك، قال: فغضب دعبل".[39]

ويعرفه حسين علي الزغبي بقوله: "هو إحالة المعنى إلى ما دونه"[40]، وقد يحيل الشاعر المعنى إلى الأحسن وقد يحيلها إلى الأقبح وقد جمع هذان النوعان من إحالة المعنى في خبر أورده المرزباني يرجع سنده إلى أحمد يحي بن على المنجم قال فيه:" وإن من أشعر شعر العتابي لقصيدته التي يمتدح فيها الرشيد وأولها :

ياليته لي بحوارين ساهرة حتى تكلم في الصبح العصافير

فقال فيها :

في مآقي انقباض عن جفونهما وفي الجفون على الأماق تقصير

وهذا بيت أخذه من قول بشار الذي أحسن فيه غاية الإحسان وهو قوله:

جفت عيني عن التغميض حتى كان جفونها عنها قصار

فمسخه العتابي، على بشار قد أخذه من قول جميل :

كان المحب قصير الجفون لطول السهاد ولم تقصر

إلا أن بشار أحسن في أخذه، ولم يبلغ جميلا، وجاء هذا إلى أن المعنى قد تعاوره شاعران محسنان مقدمان فأحسنا فيه، فنازعهما إياه فأساء، وحتى من أخذ معنى وقد سبق إليه أن يصنعه أجود من صناعة السابق إليه أو يزيد فيه عليه حتى يستحقه، فأما إذا قصر عنه فإنه مسيء معيب بالسرقة مفهوم في التقصير."[41].

مصطلحات عيوب الوزن والقافية

افتتح المرزباني موشحة بباب خصصه لعيوب القافية سماه " البيان عن السناد والإقواء والأكفاء والإيطاء".[42]

وفي موضع أخر من الكتاب نقف على عيوب أوزان الشعر،ومعه نقف على جملة من المصطلحات، وحديثنا عن هذه المصطلحات سيكون مقتضبا ،فتفصيلها يكون في باب "آليات نقد موسيقى الشعر عند المرزباني".

1-الإقواء: لغة من" أقوى الحبل والوتر: جعل بعض قواه أغلظ من بعض يقال : أقويت حبلك وهو حبل مقوى ،أن ترخي قوة وتغير قوة فلا يلبث الحبل أن ينقطع، ومنه "الإقواء في الشعر"، وفي الموشح أن الخليل بن أحمد قال:"رتبت البيوت من الشعر ترتيب البيت عن بيوت العرب الشعر -يريد

الخبـاء- قـال: فسـميت الإقـواء مـا جـاء مـن المرفـوع في الشـعر المخفـوض علـى قافيـة واحـدة"[43]، وقـال في موضع أخر "هو اختلاف المجرى والمجري حركة حرف الروي الذي تبنى عليه القصيدة".[44]

وساق المرزباني أراء النقاد كما قدم نماذج مختلفة لشعراء أقووا .

2-الأكفـاء: جـاء في لسـان العـرب، أكفـأ في الشـعر خـالف بـين ضـروب أعـراب قوافيـه، وقيـل: وهـي المخالفـة بـين هجـاء إذا تقاربـت مخـارج الحـروف أو تباعـدت، وقـال بعضـهم: الأكفـاء في الشـعر هـو المعاقبـة بـين الـراء والـلام والنـون والميم، قـال الأخفـش: "زعـم الخليـل أن الأكفـاء هـو الإقـواء، وسمعتـه مـن غـير أهـل العلـم، قـال: وسـألت العـرب الفصـحاء عـن الأكفـاء فـإذا هـم يجعلونـه الفسـاد في أخـر البيـت والاخـتلاف مـن غير أن يحدوا في ذلك شيئا إلا أني رأيت بعضهم يجعله اختلاف الحروف".[45]

وفي الموشـح المرزبـاني أراء لأهـل العلـم منهـا أن أبـا عمـر الجرمـي قـال: الأكفـاء اخـتلاف حـرف الـروي، وهـذا غلـط مـن العـرب، ولا يجـوز ذلـك لغـيرهم، لأنـه غلـط والغلـط لا يجعـل أصـلا في العربيـة، وإنمـا يغلطـون إذا تقاربـت مخـارج الحـروف[46]، في نفـس الموضـوع أورد المرزبـاني أراء أهـل العلـم واسـتدل علـى ذلـك بنمـاذج شـعرية متنوعة.

3-الإيطـــاء :الإيطـاء في اللغـة كمـا في لسـان العـرب "أوطأتـه الشـيء فوطئـه ووطئنـا العـدوبالخيل: دسـناهم ... وأوطـأ الشـاعر في الشـعر: إذا اتفقـت قافيتـان علـى كلمـة واحـدة معناهمـا واحـد فـإن اتفـق اللفـظ واختلف المعنى فليس بإيطاء".[47]

وفي الموشـح إن ابـن سـلام قـال عـن الإيطـاء "إن تتفـق القافيتـان في قصـيدة واحـدة وإن كـان أكثـر مـن قافيتين فهو أسمج له، وقد يكون ولا يجوز لمولد إذا كان عنده عيبا".[48]

وفي الموشح أراء ونماذج سيأتي بيانها .

4-السـناد:"مـن عيـوب الشـعر وهـو اخـتلاف الأرداف، يقـال: حـزم القـوم متسـاندين أي علـى رايـات شتى إذا خرج كل بني أب على راية ولم يجتمعوا على راية واحدة، ولم يكونوا تحت راية أمير واحد".[49]

وفي الموشح أن أبا عمر الجرمي قال أن السناد هو"اختلاف كل حركة قبل الروي".[50]

وتحدث المرزباني في الموشح عن أنواع السناد يخص بعضها بالحروف ويخص الأخر بالحركات.

5-التضـــمين :"ضـمن الشـيء: أودعـه كمـا تـودع الوعـاء المتـاع والمتضـمن مـن الشـعر: مـا ضـمنته بيتا".[51]

وفي التضمين أقوال كثيرة نورد هذا المثال للمرزباني يقول فيه :"حدثني أحمد بن محمد العروضي، قال: والتضمين هو بيت يبنى على كلام معناه في بيت يتلوه من بعده مقتضيا له، فمن ذلك قوله : [المتقارب]"

وسعد فسائلهم والرباب وسائل هوازن عنا إذا ما

لقيناهم كيف نعكرهم بواتر يعزين بيضا وهاما"[52]

6-الرمل :"الرمل من الشعر: كل شعر مهزول غير مؤتلف البناء، وهو كل ما كان غير القصيد من الشعر وغير الرجز".[53]

وفي الموشح أن أحمد بن محمد العروضي، قال:" من عيوب الشعر الرمل والرمل عند العرب كل شعر ليس بمؤلف البناء، ولا يجدون فيه شيئا إلا أنه عيب، وقد ذكر الأخفش أنه مثل قوله:[مخلع البسيط]

أقفر من أهله ملحوب فالقطبيات فالذنوب

فكأنه عنده شعر غير تام الأجزاء."[54]

7-التخليع :"التخليع: التفكك في المشية، وتخلع في مشيه: هز منكبيه ويديه وأشار بهما، وخلع أوصاله: أزالها".[55]

وفي الموشح" قال قدامة بن جعفر الكاتب: من عيوب أوزان الشعر التخليع وهو أن يكون قبيح الوزن، قد أفرط قائله في تزحيفه، وجعل ذلك بنية الشيء الذي يعرف السامع له صحة وزنه في أول وهلة إلى ما ينكره حتى ينعم ذوقه أو يعرضه على العروض، فيصح فيه، فإن م اجرى من الشعر هذا المجرى ناقص الحلاوة...."[56].

8-الزحاف :"سمي الزحاف بذلك لثقله، تخص به الأسباب دون الأوتاد إلا القطع فإنه يكون في أوتاد الأعاريض و الضروب، وهو سقط ما بين الحرفين حرف تزحف أحدهما إلى الأخر"[57]، وفي الموشح للمرزباني" قال إسحاق يحكي عن يونس: أهون عيوب الشعر الزحاف، وهو أن ينقص الجزء عن سائر الأجزاء، فمنه ما نقصانه أخفى ومنه ماهو أشنع وهو في ذلك جائز في العروض .."[58]

9-الاخلال :من أخل بالشيء أي أجحف، وأخل بالمكان وبمركزه وغيره غاب عنه وتركه، وأخل به: لم يف به [59]، وجاء في الموشح عن قدامة أنه قال: "ومن عيوب الشعر "الإخلال" وهو أن يترك من اللفظ ما يتم به المعنى".[60]

10-الحشو:حشا: ملأ، واسم ذلك الحشو على لفظ المصدر[61]، وقال قدامة:" ومن عيوب الشعر الحشو، وهو أن يحشى البيت بلفظ لا يحتاج إليه لا قامة الوزن".[62]

11-التلثيم:ثلم الإناء والسيف ونحوه يثلمه وثلمة فانثلم وتثلم كسر حرفه، والثلم في الوادي أن ينثلم حرفه وكذلك في النوى والحوض .[63]

وقد عده قدامة من عيوب ائتلاف اللفظ أو ا لوزن، وجاء عنه في الموشح:" التثليم وهو أن يأتي الشاعر بأسماء يقصر عنها العروض فيضطر إلى ثلمها والنقص فيها"[64].

12-**التذنيب** :ويعني لغة الزيادة ،وفي الاصطلاح "هو عكس العيب المتقدم، وذلك أن يأتي الشاعر بألفاظ تقصر عن العروض، فيضطر إلى الزيادة فيها"[65].

التهميش

[1] وليد محمد خالص، النقد الأدبي في كتاب الأغاني، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، ط1، ج 2، 2000، ص297.

[2] إحسان عباس، تاريخ النقد الأدبي عند العرب، ص39.

[3] المرزباني، الموشح، ص 63 .

[4] حسين علي الزغبي، المرزباني، منزلته في حركة النقد العربي القديم، ص 113.

[5] محمد طه، مفهوم الإبداع في التفكير النقدي عند العرب، علم الكتب، ط1، 1420، ص 105 .

[6] ينظر: المرجع نفسه، ص 36، 37 .

[*] هو المنذر بن حرملة الطائي القحطاني، أبو زبير، شاعر قديم معمر من نصارى طيء ، أدرك الإسلام ولم يسلم واستعمله عمر بن الخطاب على صدقات قومه ،قال البغدادي ولم يستعمل نصرانيا غيره . (الأعلام : ج 4 ص 227 /المرزباني، الموشح، ص100)

[7] ينظر: المصدر نفسه، ص 100، ص 101، ص 102 .

[8] نفسه ، ص 101 .

[9] المرزباني ، الموشح ،ص 197،198

2الشاهد البوشيخي، مصطلحات النقد العربي في الشعر الجاهلي والإسلامي، دار القلم، بيروت، لبنان، ط1، 1413هـ، ص 282.

[10] حسين على الزغبي، المرزباني، منزلته في حركة النقد العربي القديم، ص 116 .

[11] الجاحظ، البيان والتبين، ج 2، ص 9 .

[12] المرزباني، الموشح، ص 362 .

[13] المصدر نفسه، ص 146 .

[14] نفسه، ص 146 .

[15] قدامة بن جعفر، نقد الشعر، ص 67 .

[16] المرزباني، الموشح، ص 147 .

[17] إدريس الناقوري، المصطلح النقدي في نقد الشعر، المنشأة العامة للتوزيع، ليبيا، ط2، 1394، ص214.

[18] الأصمعي، فحول الشعراء، ص106.

[19] ينظر: ابن سلام الجمحي،طبقات فحول الشعراء ، ج1، ص55.

[20]أبو علي الحاتمي، حلية المحاضرة، ج2، ص243.

[21]حسين على الزغبي، المرزباني، ص 117 .

[22]المرزباني، الموشح، ص 81 .

[23]المصدر السابق، ص 81.

[24] المصدر نفسه ، ص 81، 82.

[25]نفسه، ص 64، 65 .

[26] الجاحظ، البيان والتبين، ج 2، ص 9 .

[27]المرزباني، الموشح، ص161.

[28]ابن سلام الجمحي، طبقات فحول الشعراء، ج 2، ص 361 .

[29] محمد مصطفى هدارة، مشكلة السرقات في النقد العربي .

[30] المصدر السابق، ص 371، 372 .

[31]المصدر السابق ، ص 387 .

[32] المصدر تقسه ، ص 380، 381 .

[33]،نفسه ، ص 141 .

[34] نفسه ، ص 141 .

[35] نفسه، ص 143 .

[36]المرزباني، الموشح، ص61.

[37]المصدر نفسه، ص 221.

[38] نفسه، ص 61.

[39]المصدر السابق، ص339.

[40]حسين على الزغبي، المرزباني، ص 138 .

[41] المرزباني، الموشح، ص 333 .

[42] المصدر نفسه ، ص 10 .

[43] ابن منظور، لسان العرب (قوي).

[44] المرزباني، الموشح، ص 28، 29 .

[45] ابن منظور، لسان العرب (كفأ)

[46] المرزباني، الموشح، ص 216 .

[47] ابن منظور، لسان العرب (وطأ)

[48] المرزباني، الموشح، ص 30 .

[49] ابن منظور، لسان العرب (سند).

[50] المرزباني، الموشح، ص 20 .

[51] ابن منظور، لسان العرب (ضمن).

[52] المرزباني، الموشح، ص 35 .

[53] ابن منظور، لسان العرب (رمل) .

[54] المرزباني، الموشح، ص 35 .

[55] ابن منظور، لسان العرب (خلع)

[56] المرزباني، الموشح، ص 103 .

[57] ابن منظور، لسان العرب (زحف).

[58] المرزباني الموشح، ص 104 .

[59] ابن منطور، لسان العرب (خلل).

[60] المرزباني، الموشح، ص 271 .

[61] ابن منظور، لسان العرب(حشا).

[62] المرزباني، الموشح، ص 272 .

[63] ابن مظور، لسان العرب (ثلم)

[64] المرزباني، الموشح، ص 273 .

[65] المصدر السابق، ص 273 .